

الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-
962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته
الاجتماعية والنفسية
د. البشير بوقاعدة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2،

bougaadabachir@yahoo.com

**The war and its socio-psychological impacts on the child of
middle Maghreban country in the Zayani th**

Abstract:

This research paper aims at disclosing the negative, social and psychological, impacts on children which are caused by all kinds of war in the Middle Maghreb in The Zayanith Era. Specifically, it tackles the effects which are resulted from human assassination and its consequences such as the phenomenon of orphaned children and child labor. Besides the effects of violence and horror on the child's psyche, in addition to the other effects which are resulted from the acts of capturing, exiling, displacing, and torturing? The child is considered as the most vulnerable member in the society; when it comes to the horrors of war and its impacts on all segments of the society. It is simply because they are in an early age and still not ready to know the reason behind the war, and the goals of those who made it. As the child has a weak resistance; he/she is likely to be injured by the pains he/she received, especially psychological pains which are hardly recognized and barely clarified. With this in mind, the

Maghreb-Mediterranean child is still living such silent pains and sufferings that lacks a mechanism to speak for it and made it a worth to study issue.

Keywords: Zayanith ; psychological; orphaned children; children; vilence.

الملخص:

تكمن أهمية هذه الدراسة التاريخية التي بين أيدينا في كونها تعالج جانبا من الانعكاسات السلبية والمؤثرات التي خلفتها الحرب بالمغرب الأوسط الزياني بكل ألوانها وأشكالها على حياة الطفل وبصورة مركزة في مناحيها الاجتماعية والنفسية. فمن المعلوم أنّ مظاهر الحرب والصراع العسكري التي شهدها المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، لم تكن تستهدف الطفل بشكل مباشر في مسعى ملامسة غاياتها على اختلافها، إلا أنّ ذلك ما كان يعني أن يسلم الطفل من سوء تبعات الحرب وأضرارها المتنوعة، وبشكل أخصّ المخلفات المحتملة على حياته الاجتماعية وأمنه النفسي، ولاسيما أنّه غير خاف عنا أنّ الطفل يعد الحلقة الاجتماعية الأضعف تحملاً ضمن سلسلة النسيج الاجتماعي لأثقال الحرب وأوزارها المتعددة؛ ذلك أنّه في مرحلة عمرية لا تسمح له باستيعاب الغايات الحربية والمرامي التي يبتغيها القائمون عليها. وهو المنحى الذي ركّزت على معالجته، لتحديد طبيعة تلك المخلفات السيئة، ومستويات التأثير السلبي المحتمل على حياته الاجتماعية والنفسية من جرّائها.

وكان من أبرز ما توصّلنا إليه في مسارها من نتائج: هو تنامي معدلات اليتيم تحت سقف الحرب على تعدد غاياتها وتباين أهدافها، وعدم صمود الطفل تحت وطأة مظاهر العنف ومشاهد القتل والتعذيب والحرق والتخريب، وأنّ تلك المشاهد العنيفة تركت أثرا عميقا في نفسية الطفل وبصمات لا تحمد عقباها على كيانه المعنوي،

وأثّرت على حياته الاجتماعية، بالإضافة إلى أنّ معاناة الطفل في ظل ذلك الظرف المضطرب كانت في غالبها معاناة صامتة.
الكلمات المفتاحية: الحرب؛ الطفل؛ اليتيم؛ الحالة النفسية؛ العنف.

مقدمة:

تعد الحرب تحت أيّ هدفٍ كانت أو مسوّغٍ إليه استندت آلة من آلات الدمار، ومصدرا من مصادر ارباب المجتمع وزعزعة استقراره والفتك بأمنه النفسي والاجتماعي. ذلك أنّ حصائد الحرب لا تُفرّق بين الكبير والصغير وبين الرجل والمرأة، ولا تستثني مخلفاتها لا البشر ولا الممتلكات، ولا تُميّز بأنقالها السيئة أينما حلّت بين أنشطة المجتمع على اختلافها، ولا تعباً نارها بمن كان في طريقها صاحب جاه كان أو غنياً أو فقيراً. ولئن كانت مخلفات الحرب السيئة لا تأبه للمكانة الاجتماعية ولا لطبيعة الجنس البشري ولا لنوع أنشطة المجتمع، فإنّه من نافلة القول: أنّ حجم الضرر على فئات المجتمع كان يتفاوت، وأنقال المعاناة بسببها كانت متباينة المستوى فيما بينهم. وذلك تبعاً للحالة الصحية أو السن أو الجنس؛ فالعليل يتجرّع من آلامها أكثر ممّا يتجرّعه السليم، والكبير في السنّ تكون وطأتها عليه أشدّ ممّا يطال الشاب والكهل، والمرأة لا تصمد تحت وفّعها كما يصمد الرجل، والطفل يتألّم تحت سقّفها أكثر من غيره من فئات المجتمع.

تأسيساً على هذا الطرح، نروم في متن هذه الدراسة، وضع الأصبع البحثي على جرح المعاناة التي كابدها الطفل الزباني بسبب الحرب، ومفاحصة تأثيراتها على نفسيته وحياته الاجتماعية، مع تحديد موضع الطفل ضمن قائمة الشرائح الاجتماعية المتضرّرة من مخلفات الصراع العسكري، والبحث في طبيعة البصمات السيئة التي تركتها في مسار الطفل النمائي وتنشئته السوسيونفسية.

وجاء التركيز على دراسة هذه الاشكالية اعتبارا بأن شريحة الطفولة على الرغم من كونها ليست هدفا مباشرا في الحرب، إلا أنّ مستوى الألم الذي عايشته تحت سقفها كان عميقا، خصوصا ما تعلّق بالجانب النفسي؛ إذا فقد الطفل أبويه أمام ناظريه أو شاهدهما يعذبان على سبيل المثال، أو عاش حياة اليتيم، أو تجرّع مع قومه مرارة تعب التقلّب في النواحي بسبب عقوبة النفي. أمّا اختيار الحقبة الزيانية كفترة للدراسة، فكان من أبرز ما حقّزنا لهذا الاختيار، كون العهد الزياني شهد حرب حصار، عدّت من أشدّ مظاهر الحرب تأثيرا على ساكنة المغرب الأوسط في العصر الوسيط؛ ونقصد بذلك حصار بني مرين لتلمسان الزيانية الذي افتقرش زهاء سبع سنوات بداية من سنة 698هـ/1299م، عايش الطفل خلاله ألوانا عدّة من الضرر النفسي والاجتماعي.

ومما تحسن الإشارة إليه في مطلع هذه الدراسة، هو صعوبة تحصيل مادة خبرية كافية بتغطية جوانب وافية من هذه الاشكالية، وتوسيع حدود دائرة العينات الكاشفة لحجم معاناة الطفل تحت سقف الحرب. وأنّ المنهج التاريخي المعتمد في الغالب في معالجة هذه الاشكالية؛ هو منهج السرد حسبا تقتضيه الدراسة، وكذلك منهج التحليل حتى نستثمر النص المصدري بشكل دقيق وبصورة تتناغم وطبيعة الاشكالية محل الدراسة.

1. صدى أزمة الحرب في حياة الطفل، تنامي معدلات اليتيم أنموذجا:

إلى جانب ما تلقى به الحرب من تبعات سيئة على حياة المرأة إذا فقدت زوجها أو انشغل عن وسطه الأسري لفترة زمنية واسعة في ميادينها، اتسعت حدود دائرة معاناة الأسرة بالمغرب الأوسط الزياني، حين أسهمت في تزايد أعداد الأطفال اليتامى؛ الذين حصدت

الحرب أرواح أوليائهم سواء كانوا ضمن الجيوش المدافعة أو المهاجمة.

ومع اتساع حدود دائرة الخسائر البشرية الناجمة عن مظاهر الصراع العسكري خلال الفترة المخصصة للدراسة أن ترتفع معدلات اليتيم وتعظم مستوياتها. ونحن وإن كنا لا نحوز على نصوص صريحة تضعنا أمام مشاهد تاريخية ناصعة، تمكننا من تحديد أعداد شريحة الأيتام ونسبها في المجتمع، وتُعيننا على القيام بعملية إحصاء دقيق لعدد العائلات بالمغرب الأوسط التي ضمت بين أفرادها أطفالاً أيتاماً بسبب الحرب أو التي فقدت أربابها وخلفوا من ورائهم أيتاماً، فإنّ ما أطلعنا عليه المصادر من حوادث تكشف الأعداد المرتفعة لقتلى الحروب وكثرة ضحاياها في معارك الحرب المتكررة؛ ذلك أنّ تاريخ بني زيان -كما قيل- في مجمله حرب تتخلله فترات سلم إذ لا تكاد تنتهي حرب حتى تظهر من جديد (فيلالي عبد العزيز، 2002: 257)، ليُوحى لنا بأنّ شريحة الأيتام كانت واسعة؛ ذلك أنّ غالبية الضحايا كانوا من الرجال أو الأزواج لأنّهم هم وقود تلك الحرب في الغالب دفاعاً أو هجوماً (ابن خلدون، عبد الرحمن، 2000، ج7: 117، الوزان الفاسي، 1983، ج2: 13، مؤلف مجهول، 1979: 123).

وفضلاً عن تنامي معدلات اليتيم في مجتمع المغرب الزياني بصورة غير طبيعية بسبب حصائد الحرب للبشر، لا يمكن أن يخفى علينا بأنّ حياة الطفل تحت جناح اليتيم ما كانت تخلو من مظاهر الاضطراب النفسي، لاسيّما إذا افترش محيطاً اجتماعياً عصيباً، من قبيل غياب معيل اجتماعي أو حاضن إذا فقد الأمّ كذلك، أو عاش تحت سقف الفقر والخصاص المالي ممّا يُعقّد من مسؤولية كفالاته. وبذلك فإنّه إذا اجتمع على حياة الطفل ثقل حالة اليتيم، وصعوبة ظروف كافله المالية، وواقع الحرب والاضطراب الأمني، فإنّها

ستعمق لا محالة من جرح المعاناة من واقع اليتيم، وتؤثر سلبا على مسار نموه الطبيعي وتنشئته الاجتماعية. ولعلّ ممّا يمكن أن نستأنس به لإبراز بعض صور هذا الواقع المتأزم، هو ظاهرة القتل الجماعي التي صاحبت فصول الحرب التي شهدتها المنطقة زمنئذ، فابن مرزوق التلمساني يضعنا أمام مشاهد النهب والتخريب والتصفية الجماعية التي ارتكبتها جيوش السلطان الحفصي أبي زكريا (627-694هـ/1229-1251م) في حملته على تلمسان (ابن مرزوق، 2008: 172). ناهيك عن الحصيلة الكبيرة التي خلّفتها حرب الحصار المريني على تلمسان بين 698 و706هـ التي قيل أنّها حصدت أرواح حوالي ثمانين ألفا (ابن خلدون يحيى، 1904، ج1: 125). وهي جريمة حربية أحدثت نزيفا ديمغرافيا كبيرا، من شأنه أن يحدث أثرا سلبيا بالغا على مقومات التماسك الأسري، وعلى الأمن الاجتماعي والنفسي للساكنة سيما شريحة الطفولة.

ونحسب أنّ المسائل الفقهية النازلة في ذلك العصر والكاشفة لواقع المشاكل الأسرية والنزاعات بشأن كفالة الأيتام وحضانتهم، لترسم لنا صورة -ولو بشكل نسبي- عن الظرفية العصبية التي يلتحف سماءها بعض الأيتام وتفتersh أرضها بعض العائلات التي تكفل اليتيم، فصاحب المعيار المعرب، لفت انتباهنا إلى بعض المسائل ذات الصلة بالمشاكل الأسرية ومظاهر الاضطراب في العلاقة الزوجية ومصير هذه العلاقة وما ينجم عنها على حياة الأبناء، ومن ذلك: قضايا الجنود الغائبين عن فضائهم العائلي والذين يُجهل مماتهم من حياتهم سواء في سبيل الحرب أو غيرها من أسباب الغياب، فقد أورد عدّة نوازل في هذا الصدد منها: "من أخبرها عدول بموت زوجها الغائب"، و"الفرسان الذين افتقدوا في معترك القتال منذ

عامين ونصف"، و"الأجل المضروب للزوج المفقود. (الونشريسي
أحمد، 1981، ج4: 239-240)

وهو في الحقيقة، واقع اجتماعي عصيب عايشته الساكنة
بالمغرب الزياني بسبب مخلفات الحرب، وبالأخصّ الطفل، على
اعتبار أنّه في حاجة ماسة لحضور والده في حياته للاضطلاع
بمسؤولية رعايته وتنشئته (غزالي محمد، 2014: 141). ومن
المعلوم، أنّ الطفل يتأثر نفسيا من غياب والده عن حياته حتى وإن
كان يعلم بأنّه على قيد الحياة، فما بالنا إذا فقدّه بشكل نهائي بسبب
الحرب. ثمّ إنّّه إذا كانت الأمّ تتأثر من الغياب المطول لزوجها فكيف
لا يتأثر الابن وهو في مرحلة عمرية حساسة من ذلك الغياب.
بالرجوع إلى النص النوازلي، يتجلى لنا بشكل لامع مدى تأثير مدة
غياب الزوج المعتبر في حياة زوجته، وهو ما أطلعنا على جانب منه
الونشريسي (ت894هـ/1489م) ضمن نازلة الرجل الذي "غاب مدة
ثلاثة أعوام فطلقت الزوجة نفسها منه وتزوجت"، أو المرأة التي
"غاب عنها زوجها وأثبتت موجبات الغيبة وطلقت نفسها ثم تزوجت"
(الونشريسي أحمد، 1981، ج4: 230). ويحيلنا مضمون هذه المادة
النوازلية على وجه من أوجه الضرر الذي يلحق الطفل إذا تزوّجت
أمّه في غياب أبيه المفقود في الحرب أو غيرها من أسباب الغياب
المطول خاصة إن لم يحض برعاية اجتماعية مناسبة في غيابهما عن
حياته.

ثمّ إنّ حجم الألم ومستوى المعاناة، قد يتضاعف إذا كان الأمر
يتعلّق بالبنات اليتيمة وليس بالولد الذكر؛ ذلك أنّ غياب الأب في
حياتها خصوصا قبل بلوغها وزواجها يحتمل أن يكون أشدّ، إذا
أحاطت بحياتها مشاكل اجتماعية لا تتعلّق بمسألة الكفالة والنفقة
فحسب، وإنّما امتدّت حتى إلى تحديد مستقبلها الاجتماعي. ولعلّنا نجد

صدى هذا الواقع في ما تكشفه النصوص النوازلية من مسائل تتعلق بقضايا الأسرة ومشكلاتها العميقة في حالات غياب الزوج أو فقدانه، ومنها ما تعلق بهوية الوصي لتزويج البنت في غياب الولي الشرعي الذي هو الأب، وما يلحق ذلك من صور النزاع بين الأقارب بشأن من يتمثل صفته، ومسائل النفقة والصداق المؤخر، ونحو ذلك من القضايا الأسرية والمسائل الاجتماعية النازلة، والتي منها: "يتيمة بنت خمسة عشرة سنة أنكحها عمّها لأته وليها ثم هربت البنت وأدعت أنّها غير بالغ؛ وذلك أنّ رجلاً تزوج بنتاً يتيمة بنت خمسة عشرة سنة أنكحها عمّها لها وقال إنّّه وليّها ولا ولي لها غيره، وكانت لها أم قالت كذلك، وزعما أنّها بالغ، فلما دخل الزوج بها ومكث معها أكثر من ستة أشهر، كرهته وهربت منه، وقال العم لست بعمّها، وقالت الأم كذلك، وأنّها غير بالغ، والسؤال هل يُفسخ النكاح لذلك أو لا؟ وبصرف النظر عن طبيعة الجواب الشرعي لهذه النازلة، فإنّ الهدف من إيرادها هو الكشف عن حجم التأثير السلبي المحتمل على نفسية هذه البنت اليتيمة التي غاب والدها أو فُقد؛ ذلك أنّه لو كان والدها حاضراً في حياتها ما كانت ستعامل تلك المعاملة القاسية من لدن حاضنها. (الونشريسي أحمد، 1981، ج3: 289-290)

ثم إنّ الطفل اليتيم هو الآخر، قد تتضاعف أثقال المعاناة الاجتماعية والنفسية على حياته، إن عاش في وسط أسري يعاني الفقر والعوز واضطرته الظروف الاجتماعية القاهرة للانخراط في سوق الشغل وهو لا يزال في مرحلة الطفولة وقبل البلوغ؛ لا يقوى جسمه على تحمّل الجهد الذي يقتضيه طبيعة النشاط الذي اقتحم ميدانه أو مارسه، في مسعى منه لتوفير حاجيات الأسرة وتوفير متطلباتها، وذلك في حال لم يكن هناك من يُعوّض الأب المفقود في وظيفته الاجتماعية من أحد أقاربه ولم يترك الأب مورد رزق كفيل بتأمين عيش العائلة وسدّ نفقاتها، وكانت الزوجة (الأرملة) فقيرة لا

دخل لها. (تيتاو حميد، 2010: 378) وإن كنا نجد صعوبة في التمييز بين الأطفال الذين انخرطوا في سوق الشغل بالمغرب الأوسط الزياني وهم أيتام بسبب الحرب من الأيتام لأسباب غيرها في ضوء ما بين أيدينا من مادة خبرية، فإن ذلك لا يعني خلو العينات من الأيتام الذين أوردت المصادر أنهم ولجوا عالم الشغل في طفولتهم، من أن تضم بين جناحيها أيتاما كانوا من فئة ضحايا الحرب. لقد احتفظت لنا في هذا المضممار النصوص التراجمية بمادة تُعين على تحديد طبيعة المهن والحرف التي مارسها الطفل تحت طائل الضرورة والحاجة، فابن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م) يكشف ضمن ترجمته للفقير الأصولي البياني أحمد بن محمد ابن زكري التلمساني (ت899هـ/1494م) صاحب مصنف بغية الطالب، بأن الظروف الاجتماعية القاهرة التي عاشها في غياب والده، أرغمت والدته على دفعه لمعلم ليتعلم عنده صنعة الحياكة، وظل عنده حتى تعلم الحرفة (ابن مريم، 1908: 38)، ولو كان والده حيا لأغناه عن ذلك.

ولا مراء أن ولوج الطفل عالم الشغل في مرحلته العمرية تلك له في الغالب الأعم من سوء التبعات على حياته الاجتماعية ما له؛ فهو يؤثر سلبا في مسارات تكوين شخصيته وتنشئته العلمية والتربوية، وكذا على سلامته وصحته البدنية والنفسية. (التنكي أحمد، 1989: 436، لطيف محماد، 2015: 33) حيث يُحتمل أن يشعر الطفل وهو يمارس أنشطة لا تتناغم وسنّه وقدراته الجسمية بالإحباط النفسي، كما يهدم الطفل بيده بنيانه الجسمي ويعصف بنظام نمو بدنه وتوازنه وهو ليس بعد في مرحلة النمو (بلعربي خالد، 2013: 116، محمد اسماعيل، 1986: 230)، كما يصرف نظره إلى أمور لم يحن أوانها بعد على حساب الأهم أو ما ينبغي أن يصرفه إليه في ذلك السن من مراحل حياته.

وعليه، فقد كانت حصائد الحرب إلى جانب ما تُلقِي به من تبعات سيئة على السلم الديمغرافي، تتعدى مخلفاتها إلى نفس التماسك النفسي للطفل وزعزعة أمنه الاجتماعي، لاسيما شريحة الأطفال الأيتام.

وحتى لا نقع في فخ المبالغة، ينبغي الإشارة إلى أن هذا الواقع المتأزم الذي عانى تحت سقفه الطفل بسبب مخلفات الحرب يتيما كان أو غير يتيم، لم يكن سمة بارزة في المغرب الأوسط الزياني، وإنما كان ظرفية استثنائية وحالات معدودة، خصوصا إذا لم نغفل عن صور التكافل الاجتماعي وروح التضامن التي رسمها المجتمع المغربي في العصر الوسيط، امتثالا للنصوص الشرعية التي تحث على أهمية كفالة اليتيم والتضامن والتأزر أيام المحن والإزم، وعظيم الأجر والثواب الذي يحظى به من امتثل لذلك، والتي من شأنها أن تخفف عنه حجم الوجدع النفسي الذي يمكن أن يلحق به وتُصمّد جراحه، حين يتسابق أهله وأقاربه لرعايته وكفالته. مع أن هذا البديل الاجتماعي لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يلغي بشكل قطعي مادة الألم النفسي من وجدان الطفل اليتيم ويقتلع جذوره بشكل مطلق، وإنما تظلّ تلك الرعاية على أهميتها وتفاني من تكفل به في أدائها على أحسن صوره واجتهد في تعويض المفقود رعاية وسلوكاً، قاصرة عن قطع دابر الألم بشكل قطعي ورأب صدع الجرح بالشكل الطبيعي، ذلك أنها كفيلة بتغطية الجانب المادي وسدّ حاجاته الاجتماعية، لكنها لا تسدّ حاجته النفسية والعاطفية أو تلبّي رغباته الوجدانية.

2. تأثير مشاهد العنف على نفسية الطفل:

إذا كانت الحرب قد استثنت الطفل من قائمة ضحايا القتلى بشكل مباشر، فإنّ حياته لم تسلم بشكل كامل من مفرزاتها السيئة؛ ذلك أنها زعزعت راحته النفسية وعصفت بكيونته الاجتماعية. إذ لا

ينتابنا شك بأن لمشاهد العنف الحربي كالتقتيل الجماعي، ومظاهر الحرق والتخريب، وصدى قراع الكتائب وتصادم الفرسان، تأثير سلبي عميق على كيان الطفل النفسي، وبالأخص إن كان الضحية فردا من أفراد عائلته أو ذويه كأبيه أو أمه أو أخيه. كما تُسهم مخلفاتها في تعميق الجرح ورفع مستوى التأثير على أمنه النفسي إذا أتبع المنتصر نصره بأعمال تصفية جسدية ومظاهر التعنيف والإرهاب، من قبيل: حرق جثث القتلى والتمثيل بها، وعمليات السجن والأسر والسبي -التي لم تستثن حتى الأطفال- ونحو ذلك من ضروب الإهانة والأذى التي تلحق المهزوم ويقف عى مشاهدها الطفل؛ ذلك أنها تقذف في نفسه مادة الهلع والخوف والاضطراب والقلق. وهو ما نجد صدهاء في الواقع المتأزم الذي عايشته الساكنة التلمسانية بين فكيّ كماشة الحصار المريني الطويل بداية من سنة 698هـ/1299م، فقد التقط الأطفال مشاهد مؤثرة على نفسياتهم جرّاء مظاهر الفرار الاضطرابي، وعمليات الأسر، وحالات الموت بالجوع ومظاهر المعاناة من الأمراض الناجمة عنه. وهو ما يؤكّده التنسي (ت899هـ/1494م) بقوله: ولقد فرّ أكثر أهل تلمسان "فلم يبقى فيها من الرعاية إلا نحو المانتين، وكان فيها من المقاتلة نحو ألف" (التنسي، 2011: 132، ابن مرزوق، 2007: 398). وذكر يحي ابن خلدون أنّ الأمر نفسه كان مع أحلاف بني زيان في معقل التيطري حيث فرّ السكان وتركوا الأبنية والمساكن (ابن خلدون، يحيى، 1904، ج2: 361، ابن فضل الله العمري، 2010، ج4: 93). كما شاهد أطفال تلمسان آباءهم يُساقون في السلاسل أمام أعينهم حين شملهم عقاب الأسر من طرف السلطان المريني أبي عنان (749-759هـ/1348-1357م) في حربه على بلاد بني زيان سنة

756هـ/1352م التي تُوِّجت بانتصاره على جيوشهم، كما أمر بسجنهم وتسخيرهم في الأعمال الشاقة كنقل الرمل على الحمير بعدما نقلهم إلى فاس. (مزدور سمية، 2009: 96) وأضاف ابن الأحمر أن الأمر قد بلغ ببعض المحصورين التلمسانيين من شدّ الجوع وبلاء الحصار أنهم أكلوا غائطهم بعدما عرّضوه إلى الشمس ليبيس. (ابن الأحمر، 2001: 69) كما أفادنا ابن مريم التلمساني، بأنّ الحصار الذي ضربه السلطان الحفصي أبو فارس (796-837هـ/1393-1433م) على تلمسان كان شديد الوطأة على ساكنتها، حيث أكثر من الرمي عليها، حتى رماها بحجر عظيم سمع أهل المدينة صوته كالرعد، فسبحوا من خيفته، وانتشر الرعب بينهم. (ابن مريم، 1908، 1979)

ولعلّه من الأهمية بمكان، أن نشير إلى أنّ ما يمكن أن يُضاف إلى هذه التأثيرات على الطفل المغربي، أنّ لهذا الجو الحربي الذي يطبع السياسة العسكرية المغربية في خضم معارك الحرب المتجدّدة، واستغراقها لمساحات زمنية هائلة تربو في العديد منها عن السنتين والثلاث، تأثير ملحوظ على تنشئة الطفل المغربي خلال هذه المدة المعتبرة، فقد يطال عملية تنشئته التفريط من عائلته بسبب الانشغال بأمر الحرب سواء دفاعا عن البلاد أو تفريطا بسبب ضررها ومظاهر الهلع والرعب التي تفرزه. ناهيك عن أنّ مظاهر الحرب والصراع والمشاهد المرعبة التي يقف عليها في طفولته قد ترتسم في مخياله وتؤثّر في تكوينه وتنشئته الاجتماعية، أو تترك بصماتها العميقة في طبعه وسلوكاته، ومن المحتمل أنّه إلى جانب إسهام الحرب في انتاج أطفال يتصفون بالشجاعة وشدة البأس والإقدام أن تُسهّم كذلك في اتصافهم في المقابل بالجنوح نحو العنف والانتقام، والميل إلى العزلة وطغيان الكآبة على نظرهم للحياة.

3. انعكاسات عقوبة التهجير على حياة الطفل:

لا سبيل إلى الشك، إن قلنا أن عقوبة التهجير التي تسببها القوى المنتصرة في حروبها على عناصر خصمها أفرادا كانوا أو جماعات رجال سياسة كانوا أو من العامة، تعدّ أحد ألوان العقاب النفسي؛ ذلك أنها تحرم الضحية من العيش في بيئته الاجتماعية التي نشأ فيها وترعرع، وتُترغمه على الانتقال إلى فضاء اجتماعي آخر وبيئة بديلة قد لا يجد فيها شروط الحياة كما تقتضيه، أو يستغرق زمنا معتبرا ليألفها ويعتاد بيئتها، وقد يجد صعوبة في التأقلم معها صحيا ونفسيا واجتماعيا (الحداد حميد، 2012: 16).

لقد كان التهجير صورة من تجليات الحرب والصراع الخارجي بين الدولة الزيانية ودولتي بني مرين وبني حفص، والصراع الداخلي بينها وبين القبائل العربية والبربرية المناوئة لها. (بلعربي خالد وناصر محمد، 2019: 104) وإذا قلنا بأن لهذه العقوبة آثار نفسية على الضحية، فإننا نعتقد أن وقعها على نفسية الطفل أشدّ نكاية من وقعها على غيره من فئات المجتمع. وذلك بحكم طبيعة مرحلته العمرية، ذلك أنه الحلقة الأضعف تحملا تحت سقف الحرب وآثارها؛ فقدرته التحمل عند الطفل ضعيفة جدًا مقارنة بالكبير، إذ لا يمكنه الصمود أمام أخطار الحرب وما تقذفه في النفوس من صنوف الرعب وأهوال الخوف، كما أن مناعته ضعيفة تجاه متاعب التشريد والتهجير، ومشقة التقلب في المناطق مع أهله بحثا عن ملجأ اجتماعي إذا كان ضمن الفئة التي طالها التهجير، ولا يصبر على فقدان أبيه إذا هُجر من بلده دون أهله وذويه.

إن من النصوص التاريخية التي تحيلنا على صدى هذا الواقع في حروب الدولة الزيانية وما كابדתه ساكنتها (ومن ضمنها الأطفال) من مشقة مظاهر التهجير، سواء بتعسف من القوى المنتصرة على عناصر خصومها عقب انتصارها على جيوشها، أو هجرة اضطرارية فرارا من بطش جنود الخصم وبحثا عن ملاذ آمن في

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-
962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته
الاجتماعية والنفسية

مكان آخر، ما أورده يحيى ابن خلدون من مادة خبرية تُفصح عن واقع المحن التي عاركتها ساكنة المغرب الأوسط في خضم الحصار المريني لبلاد بني زيان بين سنتي 698-706هـ / 1299-1306م، حيث تناقص عدد سكان مدينة تلمسان (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج6: 206، روجي ادريس، 1992: 82) وغيرها من المدن التي ضيق على مخنقها الحصار، نتيجة عمليات الفرار الفردي والجماعي لأهلها بعدما عُدّت الأقوات، وكثر القتل، وفُقد الأمن، وعجز الجند عن صدّ الحصار (ابن خلدون يحيى، 1904: 125، ابن أبي زرع، 1972: 382، بوالعراس خميسي، 2014: 258). ثم إنّه ومع استمرار مظاهر الاضطراب بالمجال الزياني في ظل سلسلة الحروب التي شهدها، عرف المغرب الزياني حركة بشرية متلونة بين أقاليمه، بحثا عن فضاء آمن يقيهم نوائب النهب والسلب والسبي والقتل. وقد نوّه عبد الرحمن ابن خلدون في أكثر من موضع إلى هذا الحال من التنقل البشري، فالسلطان الزياني عثمان بن يغمراسن أخرج أهل الأمصار والضواحي إلى الجبال بالمناطق التي ثارت ضدّ حكمه ببلاد توجين والمدية سنة 687هـ/1288م، وزحف إلى الثائر ثابت بن منديل بحصن برشك فحاصره به، فركب الأخير البحر إلى المغرب. كما لجأ راشد بن محمد الذي كان على معقل بني بوسعيد هو ومن معه إلى جبال صنهاجة بمتيجة بعدما حاصرته جيوش بني مرين وضيقت عليه به سنة 704هـ / 1304م. ولمّا ثارت مغراوة ببلاد شلف على بني عبد الواد خرجت إليهم جيوش الدولة سنة 752هـ/1351م، فحاصرتهم وأثخنت فيهم ونجا الآخرون إلى أطراف الأرض. وحين تعرّضت تلمسان للحصار المريني سنة 772هـ/1370م وشدّدت الخناق عليها، فرّ أبو حمو سلطان بني زيان

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته الاجتماعية والنفسية

في قومه وأشياعه من العرب وتمنعوا بالجبال. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج7: 90)

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ هناك نزوحاً شعبياً تفرضه الحرب بطريقة متعدية وليست مباشرة؛ حيث تساهم فترات الغلاء التي تصاحب فصول الحرب التي تستغرق مسافات زمنية معتبرة أو تعقبها في تضخيم هواجس الخوف لدى الإنسان المغربي، وتُفَضِّي إلى تواتر عمليات الهجرة والنزيف الشعبي نحو المناطق الآمنة من سوء تلك النوائب وفظيعة تلك المساعب، ولعلّ خير ما يفصح عن هذا ما عايشته الساكنة التلمسانية في خضم الحصار المريني الطويل الذي أنهك أهلها وبلغت بهم المشقة مبلغها بسبب الجوع وغلاء الأسعار، وما أفضت إليه من حدوث مجاعة عظيمة شكّتها العامة والخاصة، ولم تستثن أضرارها الكبير ولا الصغير، فكان من يقدر على الخروج يخرج طلباً للنجاة وبحثاً عن طعام يحفظ به الحياة. (ابن خلدون يحيى، 1904: ج1، 125)

4. مظاهر التمثيل بجنود الحرب وصدائها في نفسية الطفل:

من الثابت أنّ أعمال التمثيل والتكثيف بجثث الخصم وتشويهها في خضم فصول الحرب وأعقابها، تعدّ من الأمور التي ينهى الشرع عن نهج سبيلها (ابن أبي زمنين، 1989: 166)، بيد أنّ بعض القيادات العسكرية في حرب العصر الوسيط لم تترقّع عن اقتراف مثل هذه الجرائم في حق الإنسان. والحقّ، أنّ ديدننا ليس التفصيل في شرعية هذه الظاهرة، وإنّما ملامسة جانب من تأثيرها على نفسية الطفل حين يقف على مشاهدتها أمام ناظره.

إنّ استعراض بعض النصوص التي قدّمت عبارات مقتضبة عن حالات التمثيل والتشويه لجثث الخصم في حروب المغرب الأوسط الزياني على اختلاف القوى العسكرية التي غدت فصولها

والأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيقها، من شأنه أن يضعنا على صورة ولو محدودة عن مستويات تأثير هذه المظاهر الشنيعة على نفسية المجتمع ولاسيما شريحة الطفولة. ففي خضم حرب الحصار التي سَلَّطها الأمير أبو فارس على قسنطينة سنة 681هـ/1282م للضرب على يد الوالي ابن الوزير المتمرد بقسنطينة، عمد هذا الأمير بعد انتصاره عليه إلى قتله هو وأشياعه، وحتى يقذف الرعب في قلوب من تسوّل لهم أنفسهم الانقلاب والتمرد مجدداً، أتبع انتصاره بنصب رؤوسهم بسور البلد. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج6: 440) وأمر أبو الحسن المريني سلطان بني مرين عقب اقتحامه مدينة تلمسان عنوة سنة 737هـ/1337م، جنوده برفع رؤوس القتلى الذين كانوا يدافعون عن قصر السلطان الزياني المحصور (أبو تاشفين) على عصا الرماح والطواف بها في البلد المقتحم. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج7: 148) كما أطلعنا ابن خلدون وهو يطرق تفاصيل الصراع الزياني المريني على رواية مؤداها: أنّ طفلاً يتيماً من بلاد بني زيان اسمه حمزة بن علي بن راشد، أخذه المرينيون في إحدى حملاتهم على المغرب الأوسط بعدما ذبحوا والده، وتربّى بين أحضان الملك المريني حتى شبّ واستوى، ولمّا أساء إليه أحد قادة الجيش المريني ركب الليل ولحق بمعقل بني بوسعيد من بلاد شلف فأجاروه ومنعوه، فخرجت إليه جيوش بني مرين سنة 772هـ/1370م، وشدّدت عليه الحصار حتى تمكّنوا منه، فقتلوه مع جملة أصحابه، وضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم على خشب مسندة، ونصبت بظاهر مليانة. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج7: 94)

ولا ريب أنّ هذه المشاهد الشنيعة لن تمرّ مروراً طبيعياً على نفسية الطفل الذي يقف على واقعها وبالأخصّ إذا كان الضحية فرداً من أفراد أسرته، وإنّما ستترك أثراً سيئاً على نفسيته، وتُسهم في

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته الاجتماعية والنفسية

تنامي مستويات الضرر الذي يعانيه بين ثنايا فصول الحرب ومعاركها من خوف وهلع.

5. محن الأسر والسبي وصداها في حياة الطفل:

تطالعنا بعض المصنفات التي عالجت ظاهرة السبي في حروب العصر الوسيط بتفاصيل مسهبة عن أبرز مسببات عمليات السبي وتبعاتها على العناصر البشرية التي وقعت تحت وطأته، بيد أنها لا تمنح معلومات كافية بشأن ما تخلفه هذه المظاهر من آثار سلبية وانعكاسات غير محمودة على نفسية للطفل وأمنه الاجتماعي. ولعلّ لمّ الشتات المتناثر بين أحشائها من شأنه أن يرسم صورة -ولو مقتضبة- عن حجم المعاناة التي تكبدها الطفل بالمغرب الأوسط جراء عمليات السبي التي أقدم عليها قادة الحرب خلال الفترة الزيانية، سواء تعلّق الأمر بالأطفال الذين وقعوا تحت الأسر مع أقوامهم وأهلهم أو الذين نجوا منه دون أن ينجو أحد أفراد عائلتهم.

وتحفل النصوص التاريخية بمادة خبرية غزيرة كاشفة لعمليات السبي والأسر في حروب الفترة؛ إذ لا تكاد تخلو معركة أو غارة من سبي للنساء والأطفال، لذلك سنحاول الاقتصار على أمثلة تخصّ مظاهر الصراع المريني الزياني الذي كان سمة بارزة في تاريخ الدولتين، وبشكل مقتضب، فقد كان من نتائج الحرب التي دارت رحاها بينهما سنة 666هـ/1267م والتي انهزم فيها الجيش الزياني أسر وسبي حريمهم وعيالهم. (ابن أبي زرع، 1972: 116) وإذا كان السلطان المريني يعقوب قد عفا عن أطفال تلمسان التي اقتحمها في حصار سنة 670هـ/1271م من القتل، فإنّه لم يعفيهم من لعنة السبي والأسر حيث سبي الحريم والعيال، ونهب كل ما بمحلتهم. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج7: 115)

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-
962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته
الاجتماعية والنفسية

كما تواصل تدفق الأسرى والسبايا في أيدي المرينيين في ظل الهزائم التي توالى على بني زيان حتى كآته أضحى أمرا طبيعيا، فبعد الردود السلبية على رسائل السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق من طرف صاحب تلمسان يغمراسن التي سعى من خلالها المريني لضم تلمسان لحظيرة أملاكه طوعا، خرج لحصارها في جيش كبير سنة 679هـ/1280م، فانتهب معسكر يغمراسن بما حوى من كراع وسلاح وفساطيط ومتاع وأموال، وسبى الحريم والعيال. (السلوي، 1954: 54) وأضاف ابن خلدون أنّ المرينيين اقتحموا تلمسان واستباحوا بلاد بني زيان قتلا وسبيا وصفدوا الأسرى، واستاقوا أموالهم ونساءهم إلى فاس في حملتهم عليها سنة 753هـ/1352م. (ابن أبي زرع، 1972: 386)

وكحصيلة للقول، فإننا وإن كنّا نفتقر إلى نصوص مصدرية تحدّد بشكل دقيق وصريح حجم الأعباء التي أثقلت كاهل الطفل بالمغرب الأوسط الزياني جراء عمليات السبي والأسر التي تعرّض لها أو عايشها، ومستويات التأثير السلبي التي خلفتها على حياته النفسية والاجتماعية، فإنّ كثافة عمليات الأسر والسبي التي تذيلت الحرب واقتربت بنتائجها، وتكرارها في ظل تناسل فصول الحرب وكان الطفل ضحيّتها بشكل مباشر أو غير مباشر، ترسم صورة واقع مرير عايشه الطفل إلى جانب باقي عناصر المجتمع، وتؤدي بحدوث مضاعفات سلبية على نفسيّته أكثر من غيره من فئاته، وتنطق بتنامي هواجس القلق والاضطراب في حياته زمن الحرب.

6. سجن الآباء في الحرب وتجليات الظاهرة في حياة الأبناء:

لا تقلّ تأثيرات عقوبة السجن في حق الآباء بسبب الحرب ومظاهر الصراع العسكري على حياة أبنائهم النفسية خطورة عمّا يلحق بهم من عقوبات أخرى كالنفي والتعذيب والتشويه والتمثيل، وبالأخص إذا شاهد الطفل أباه يتعرّض للإهانة والمعاملة السيئة حين

يُقتاد إلى السجن من طرف قادة الحرب وجند الخصوم، على غرار تكبيله وتقييده بالسلاسل أو ضربه بالسياط أو تعذيبه بالأعمال الشاقة. ومن المشاهد التاريخية التي احتفظت لنا بها المصادر في هذا السياق، الرواية التي جاد بها علينا ابن خلدون، حين استعرض فصول الصراع العسكري بين الدولتين الجارتين الزيانية والحفصية في مسعى كل منهما للتوسع على حساب الآخر أو استرجاع المجالات التي توسّع على حسابها الخصم، حيث ذكر أنّ جند الدولة الحفصية في حملتهم العسكرية على بلاد المغرب الأوسط الزياني، عمدوا إلى حصار مدينة الجزائر سنة 674هـ/1275م برّا وبحرا، وحين تمكّنوا من اقتحامها عنوة، تقبّضوا على مشيخة المدينة، ثم صدّوهم واقتادوهم إلى قصبة تونس أين اعتقلوهم بها. بل وأكثر من ذلك يُضيف ابن خلدون إلى ما سلف، أنّه اشتدّ القتل "وانتهبت المنازل واقتضح الكرائم في أبقارهن". (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج6: 431) وهي مشاهد عنيفة إذا وقف الطفل في مرحلته العمرية الحساسة عليها؛ من شأنها أن تقذف في نفسه الرعب، ويتملكه الخوف بدرجة تضرّ بكيانه الوجداني وبنائه النفسي وراحته الاجتماعية.

كما لم ينج السلطان الزياني أبو سعيد من ربة السجن على يد الجيش المريني الذي اقتحم بلاده سنة 753هـ/1352م، ثمّ دُبح بعد تسعة أيام من سجنه. (نشاط مصطفى، 2012: 109) ويذكر صاحب زهر البستان أنّ أسرى بني عبد الواد في موقعة أنكاد من بسيط وجدة، ظلّوا مسجونين من طرف المرينيين مدّة عشر سنوات. (مؤلف مجهول، 2013: 191) وكبّل بنو مرين أسراهم في وهران بالسلاسل. (مؤلف مجهول، 2013: 202)

وفي ظل الفتنة التي عصفت ببيت السلطة الحاكمة لتلمسان في عهد السلطان الزياني أبي حمو سنة 788هـ/1386م، حين تمرّد ابنه أبو تاشفين الثاني عليه وعقّه متّهما إياه بممالة أخوته عليه، أقدم هذا الأخير على اعتقال أبيه في قصبة وهران ومن حضر بتلمسان من أخوته، كما قام بحصار أخوته بجبل تيطري وبالغ في حصارهم، غير أنّ السلطان استطاع النجاة من الاعتقال واسترجاع تلمسان في أوائل السنة الموالية مستغلاً غياب ابنه أبي تاشفين في حصار أخوته. ولما علم أبو تاشفين بذلك انكفاً راجعاً إلى تلمسان، وتمكّن من أبيه واعتقله ثانية ببعض حُجر القصر. (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ج6: 479)

حاصل القول، أنّ عمليات السجن التي تعرّضت لها عناصر القوى التي انهزمت أمام الخصوم، مثّلت عبء إضافي على حياة الطفل النفسية والاجتماعية، فبالإضافة إلى تأثر الابن من غياب أبيه المسجون ومظاهر التنكيل به في أعقاب فصول الحرب وبين ثناياها تأثرا نفسيا بليغا، قد يصطدم الطفل بواقع اجتماعي عصيب إذا لم تجد أسرته معيلا يسدّ حاجاتها الاجتماعية المتلونة ومطالبها المالية الأساسية.

الخاتمة:

على ضوء جهدنا البحثي هذا، كان من بين أهمّ ما تمّ رصده كاستنتاجات نُذِلّه بها، ما نورد ملخصه في النقاط الموالية:

- تعدّ شريحة الطفولة تحت سقف الحرب وألوان الصراع العسكري الحلقة الاجتماعية الأضعف مقاومة لمخلفاتها السيئة وتأثيرها البالغ، والفئة الأقلّ صموداً أمام مظاهر العنف التي تتسبّب فيها ويتحمّل المجتمع أعباءها وتطاله آثارها.

- شهدت ساكنة المغرب الأوسط الزياني في غالب تاريخها وضعاً سياسياً مضطرباً، سمته الحرب والصراع الداخلي والخارجي، وما كادت تخلو حرب أو معركة أو غارة من الحاق الضرر بالمجتمع ومنه الطفل، سبياً كان أو أسراً أو نفياً وتهجيراً أو سجناً أو رهينة حتى كاد يصبح هذا السلوك الرديف بالحرب أمراً طبيعياً لا استثنائياً.
- تلوّنت المؤثرات السلبية التي ترمي بها أزمة الحرب على حياة الطفل وتعدّدت أوجهها، ولعلّ أخطرهما، الضرر الذي يهدّد أمنه الوجداني واستقراره النفسي وتماسكه العاطفي، ذلك أنّ الطفل -بحكم مرحلته العمرية- لا يعي تمام الوعي حقيقة الصبر وقيمتها، ولا يقوى على مجادلة الشدائد ومغالبتها، ولا يصبر على فراق الأهل والعيش دونهم، ولا يفقه غايات الحرب وأهداف القائمين عليها.
- على الرغم من أنّ شريحة الطفولة لم تكن فئة مستهدفة في قائمة مشاريع الحرب ومخططات القائمين عليها، إلّا أنّ وقعها على حياتها كان أعظم نكابة وأشدّ تأثيراً ممّا لحق بباقي الفئات العمرية الاجتماعية، ومن ذلك اسهامها في اتساع حدود دائرة فئة الأيتام.
- ساهمت الحرب بالمغرب الأوسط الزياني بنصيب معتبر في نسبة وفيات الأطفال سواء كانوا مواليد جدد أو حتى أجنة، بسبب ما تؤول إليه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية من سوء وتردي وتأزم، وهو ما يؤثّر سلباً وبشكل كبير على صحّة الحامل والأم والمرضة.
- يظل رصد تفاصيل مستفيضة عن واقع المعاناة الاجتماعية والنفسية التي تطال حياة الطفل بالمغرب الأوسط الزياني، مهمّة بحثية عسيرة، في ظلّ الشخّ الخبري، وصعوبة سبر غور الكيان الوجداني للطفل في مرحلته العمرية الحساسة؛ ذلك أنّه ليس بمقدوره أن يترجم آلامه في نصوص مكتوبة نفق على تاريخها في زمننا هذا، أو يعبر عن مواقفه تجاه واقع الحرب ومخلفاتها أو يبدي ردود فعل حيال ذلك، وإنّما كانت أغلب صور معاناته بشكل صامت.

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته الاجتماعية والنفسية

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي زرع، (1972)، روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الرباط، طبع بمطبعة صور للطباعة والوراقة.
2. ابن أبي زرع، (1972)، الذخيرة السنوية في أخبار الدولة المرينية، المغرب، دار المنصور للطباعة والنشر.
3. بن أبي زمنين محمد، (1989)، قدوة الغازي، تح، عائشة السليمان، لبنان، دار الغرب الاسلامي.
4. ابن الأحمر، (1421هـ/2001م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع.
5. ابن خلدون عبد الرحمن، (1421هـ/2000م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، ج7، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
6. ابن خلدون يحيى، (1322هـ/1904م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، الجزائر، مطبعة بيبير فونطانا الشرفية.
7. ابن فضل الله العمري، (2010)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح، بيروت، لبنان، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية.
8. ابن مريم التلمساني، (1908)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه، محمد ابن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية.
9. ابن مرزوق التلمساني، (2007)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح، ماريا خيسوس، تقديم، محمود بوعيداد، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش.
10. ابن مرزوق التلمساني، (2008)، المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، المغرب، النجاح الجديدة.
11. التنبكتي أحمد بابا، (1398هـ/1989م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، طرابلس، ليبيا، منشورات كلية الدعوة الاسلامية.

العنوان: الحرب والطفل في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م): قراءة في آثارها على حياته الاجتماعية والنفسية

12. التنسي عبد الله، (2011)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح، محمود بوعباد، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع.
13. الحداد حميد، (2012)، النفي والعنف في الغرب الاسلامي، الدار البيضاء، المغرب، افريقيا الشرق.
14. الطمار محمد، (1984)، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
15. الناصري السلاوي، (1954)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، الدار البيضاء، المغرب، دار الكتاب.
16. الهادي روجي ادريس، (1992)، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، بيروت، لبنان، دار الغرب الاسلامي.
17. الوزان الفاسي، (1983)، وصف افريقيا، تر، محمد حجي، ج2، ط2، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
18. الونشريسي أحمد بن يحيى، (1401هـ/ 1981م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب، اخراج، محمد حجي وآخرون، ج3، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.
19. بسام كامل شقدان، (1422هـ/ 2002م)، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، أطروحة دكتوراه، فلسطين، جامعة نابس.
20. بلعربي خالد، (2013)، آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط، العدد 4، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، الجزائر.
21. بلعربي خالد ومحمد ناصري، (2019)، الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، جامعة الجيلالي الياابس، سيدس بلعباس، الجزائر.
22. تيتاو حميد، (2010)، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، المغرب، منشورات عكاظ.

23. خميسي بوالعراس، (2014/2013)، فن الحرب بالغرب الاسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة باتنة.
24. فيلالى عبد العزيز، (2002)، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية)، ج1، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع.
25. لطيف محماد، (1436هـ/ 2015م)، الطفولة والتنشئة الاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، المغرب، طبع طوب بريس.
26. نشاط مصطفى، (2012)، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المغرب، مطابع افريقيا الشرق.
27. محمد اسماعيل، (1986)، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
28. مزدور سمية، (2009)، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/ 1192-1520م)، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة.
29. مؤلف مجهول، (2013)، زهر البستان في دولة بني زيان، تح، بوزياني الدراجي، ج2، الجزائر، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع.
30. مؤلف مجهول، (1399هـ/ 1979م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، المغرب، دار الرشاد الحديثة، الدر البيضاء.